

# النظام المصري يجدد شرعيته بإعادة رسم الجغرافيا السكانية

## سد الفجوات السياسية في القرى الفقيرة يعجل بإجراء الانتخابات المحلية المؤجلة منذ سنوات



تنمية الأرياف جزء أساسي من عملية تحقيق الأمن القومي

عدم السماح بتكرار محاولات استقطاب المواطنين للتغطية على تحركات عناصر معادية في الأطراف.

### كوابح أمنية واجتماعية

أوضح الخبير الأمني اللواء أشرف أمين أن الحكومة تواجه صعوبات أمنية في التعامل مع المناطق الريفية القريبة من الظهير الصحراوي والتي تمتد إلى حدودها المختلفة، بسبب غياب المعلومات المتوفرة عن خلفيات الملايين من المواطنين، وأن غياب الحكومة عن تلك المناطق لسنوات جعلها غير قادرة على اختراقها بصورة سلمية لقطع حبال الدعم بين الإرهابيين على الحدود والداعمين لهم داخل الحيز العمراني.

وقال لـ"العرب"، إن "قرى محافظة الفيوم (جنوب غرب البحيرة) التي كانت معقلا للجماعات المتطرفة تعبر عن تلك الأزمات، فهذه المحافظة لديها ظهير صحراوي وحضاري وزراعي في حين أن أطرافها بعيدة عن أعين الأجهزة الأمنية، والتعامل مع المجرمين في تلك المناطق كان صعباً للغاية لعدم وجود طرق مهيأة يمكن أن تتحرك فيها قوات الأمن بحرية كبيرة".

وأشار إلى أن الخلايا التابعة لتنظيم الإخوان تستغل الأوضاع في تلك المناطق لتقديم خطابات استعطف للمواطنين الذين قد يجذبون إليها بفعل غياب وزارة الأوقاف في الزوايا والمساجد الصغيرة التي تستخدم كآداة للحشد السياسي، وفي حال استمرت على أوضاعها الحالية سيكون من الصعب الحديث عن ثورة تنموية حقيقية.

وتواجه التحركات نحو الريف باعتراضات، عبر عنها خبراء التخطيط العمراني، حيث يرون أنها إذا لم ترتكز على الربط بين الريف والمدن الجديدة ستعمل على تثبيت الكثافات القائمة والمزايمة في الريف على حساب خطط الخروج من السواحي الضيقة، ومطوَّب توجيه الفائض الهائل من العمالة المعطلة في القرى إلى نطاقات أخرى جديدة خارج المسطح الأخضر في الوادي والدلتا.

ويؤكد استاذ التخطيط العمراني بجامعة القاهرة، سامح العلابي، أن الريف يعاني من تزايد مضطرب في كثافة سكانه وعمرائه بدرجته تزيد كثيرا عن طاقته الاستيعابية الزراعية، وتلك الزيادة تتعارض مع حاجة القطاع الزراعي إلى عمالة فنية متخصصة بعد تطور تقنيات الأنشطة التي تعتمد على أعداد متناقصة من العمالة.

وتشدد في تصريح لـ"العرب"، على أن "الحكومة عليها إعداد سياسة بعيدة المدى لفتح آفاق جديدة لإقامة الولاية عمرانية إنتاجية مختلفة الأحجام والتخصصات تنمو عقوديا خارج الوادي والدلتا، بالتوازي مع تشجيع وتحفيز سكان الريف على الانتقال إليها بعد تاهلهم في إطار شراكات في ما بينهم للعمل والاستقرار الآمن، ودون تحميلهم ما لا طاقة لهم به، بل مساعدتهم ماديا وفنيا حتى تستقر أوضاعهم".

مواطني الريف إلى مناطق عشوائية تشكل بيئة خصبة للجريمة بمختلف أنواعها.

وتكررت تقارير حكومية في وقت سابق أن تطوير القرى سيبدأ في المناطق الجغرافية الجنوبية والغربية ضمن المرحلة الأولى، ويرجع ذلك إلى أسباب مختلفة، إذ أنها أكثر المناطق التي تعاني تهيمشاً وغياباً للخدمات العامة، إلى جانب الأهمية الجغرافية لتلك المناطق التي تقاطع مع تطورات إقليمية على الحدود المصرية مع ليبيا غرباً والتي شهدت طفرة عمرانية واسعة في الفترة الماضية.

وينطبق ذلك على غزة وإسرائيل شرقاً، حيث تشهد سيناء تحولات كبيرة في بنيتها السكانية، وكذلك جنوباً حيث أزمة مياه النيل وعدم وجود حل لازمة سد النهضة الإثيوبي، ناهيك عن أزمة حلّاب وشلاتين الكاملة مع السودان، والتي تستوجب تكثيفاً عمرانياً لإقرار الأمر الواقع لصالح مصر.

وتعول القاهرة على أن تكون الجغرافيا السياسية حاسمة في التعامل مع هذه الأوضاع، وهو ما يتطلب تغييراً موازياً على مستوى المشروعات في مناطق الظهير الصحراوي الشاسعة إلى جانب تغيير شكل التركيبة السكانية، وأيضاً وخلق مجتمعات موالية للسلطات الحاكمة في الدولة، مع

ويذهب البعض من المتابعين إلى التأكيد على أن خروج مظاهرات غاضبة ضد قرارات إزالة البنايات المخالفة في شهر سبتمبر الماضي، واستجابة البعض لدعوات المقاول الهارب محمد علي، في ذلك الحين، كان جرس إنذار للنظام الحاكم بنيه إلى ضرورة التدخل العاجل كي لا تكون هناك اختراقات من قبل أية قوى معارضة في مناطق ظلت داعمة له، ولم تعد الخروج ضده.

وتيقنت الأجهزة الأمنية من أن صعوبة الأوضاع المعيشية في تلك المناطق تشكل عائقاً أمام خطط الخروج من الحيز العمراني الضيق، وتعزل أي توجهات مستقبلية يبدو فيها النظام أكثر اهتماماً بتنمية المجتمعات الصناعية الحديثة على حساب تراجع المجتمعات الزراعية، التي لم تواكب التطورات الحديثة، وكانت سبباً في هجرة

ويؤكد ارتباط الريف لـ"العرب" إلى تحقيق الأبعاد الأمنية وراء الاستثمارات الضخمة في مجال التنمية العمرانية.

واكدت وزارة التنمية المحلية أن تطوير القرى يستهدف تاهيل وتدريب المواطنين على المشاركة الشعبية في كل مراحل تخطيط وإدارة وتشغيل المشروعات والخدمات، إلى جانب تحسين البنية الأساسية ومستوى الدخل عن طريق زيادة الإنتاج وإيجاد فرص عمل كثيرة.

وتستهدف السلطات من خلال هذا التوجه إعادة صياغة الجغرافيا السياسية للدولة التي تتعامل مع الملايين من القاطنين في القرى على أنهم يمثلون ظهيرها السياسي، ويشكل هؤلاء ركائز قوية في الدولة العميقة التي تساعد على تماسك المؤسسات الرسمية عبر الحصول على دعم العمد والشيوخ والدوائر الأخرى القريبة من النظام، وهم أكثر حضوراً في الانتخابات التي تدعم شرعيته.

كما أن وجود فجوات عديدة في تلك المناطق جعل النظام غير قادر على إجراء الانتخابات المحلية المؤجلة منذ عام 2008، خوفاً من وصول شخصيات تمثل خلايا إخوانية ناشئة في تلك المناطق التي ينتشر فيها الخطاب الديني المتشدد، وهو أمر انعكس على تردد الحكومة في إعادة التقسيم الإداري للمحافظات في ظل مخاوف من عدم قدرة الإدارات المحلية على تأمين التمددات العمرانية الجديدة.

### خارطة جديدة

تتطوي إعادة رسم خارطة الجغرافيا السكانية على مدخل مهم يمكن النظام من استقطاب المزيد من الموالاة في المناطق النائية، ويخرجه من دائرة الاهتمام طبقة اجتماعية مرفهة فقط، ويوسع نفوذه في المناطق النائية، التي يتقطع الطريق على من يحاولون اصطباذه من هذه المناطق الرخوة التي يسهل توظيفها سياسياً.

ضاعف النظام المصري جهوده التنموية في أماكن مختلفة، تمددت شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، لإعادة رسم خارطة الجغرافيا السكانية والخروج من السواحي الضيقة إلى تنمية الصحاري الشاسعة التي تعد بؤرة رخوة في عدة محافظات كادت تتحول إلى ملاذ للجماعات المتطرفة. وهذه الاستراتيجية تأتي لتجاوز العراقيل الأمنية والاجتماعية التي تشكل تهديداً للأمن القومي المصري.

ويبدو أن اعتماد الحكومات المتعاقبة على الجمعيات الأهلية لتوفير الكثير من حاجيات هذه المناطق لم يعد أمراً ذا جدوى كبيرة حالياً، إذ عرّفت الجمعيات عن العمل في ظل تضيق الخناق على المجتمع المدني بوجه عام في السنوات الماضية، ووجدت الحكومة الحالية أن هناك حاجة ماسة إلى التعامل مباشرة مع المناطق التي تشكل بيئة رخوة تمثل تهديداً للأمن القومي.

### تغيير الريف

قال استاذ العلوم السياسية بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، حسن سلامة، إن "التوجه نحو الريف يحقق للنظام جملة من المكاسب، فهو يعزز شرعيته السياسية، حال نجح في أن يلمس التطوير حياة المواطنين بشكل مباشر بعد أن تضررت فئات عديدة من الاهتمام المتزايد بالمشروعات القومية طويلة المدى دون أن ينعكس ذلك بصورة إيجابية عليها".

وأوضح لـ"العرب" أن "تغيير وجه الحياة في الريف يساعد على خلق مجتمع عمراني كبير، والخروج من الشريط الضيق حول نهر النيل، إلى أماكن أكثر اتساعاً تتوفر فيها معايير جودة الحياة؛ فانتعاش المجتمع على نفسه بالتزامن مع زيادة معدلات الأمية والجهل في تلك المناطق يمثل أزمة، ولذلك تشهد مناطق الظهير الصحراوي للمدن صحوة، ويجري استغلالها بطريقة جيدة، وفي الوقت ذاته يسعى النظام الحاكم إلى إشعار المواطنين بأنه يؤدي دوره تجاه هذه الفئات".

وهذه هي المرة الأولى التي يقر فيها النظام منذ زمن بعيد الخروج على نطاق واسع من وادي نهر النيل الذي كان يتكدس حوله السكان عبر قرون طويلة.

ويرى سلامة أن الحكومات كانت لديها أزمة حقيقية في كيفية تحويل الظهير الصحراوي للمدن إلى مناطق عازلة تستطيع أن تحمي نفسها في ظل استغلالها من قبل عناصر إجرامية وإرهابية، والاتجاه نحو توسيع البنايات العمراني في تلك المناطق دون أن توازنه قواعد اقتصادية وصناعية



القاهرة - وجهت السلطات المصرية انظارها خلال الفترة الماضية إلى المناطق الريفية التي قد تشكل خطراً على الأمن القومي المصري، في مسعى منها إلى تجديد شرعيتها أمام المواطنين. وتركزت غالبية المشاريع العمرانية على مناطق جديدة، حيث توجد الآن 14 مدينة في طور الإنشاء، وبدأت عملية توطيئ المواطنين فيها، خاصة العاصمة الإدارية في شرق القاهرة. لكن ذلك يواجه انتقادات جراء إهمال الكتل السكانية في القرى التي تدهورت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية.



وأطلق الرئيس عبدالفتاح السيسي قبل أيام مشروعاً قومياً لتطوير الريف الذي يقطنه 58 مليون نسمة، يمثلون 60 في المئة من تعداد السكان داخل 4700 قرية، وتشمل مرحلته الأولى تطوير البنية التحتية في 1500 قرية واقعة ضمن 50 مدينة في 22 محافظة، وتقدر تكلفته بنحو 33 مليار دولار.

وانكرت الحكومة أن رغبتها في تشجيع المواطنين على الذهاب إلى المناطق الجديدة تصعب تحقيقها، طالما أن خطواتها لا تلقى قبولا لدى عدة فئات ترى أنها متضررة من المشاريع العملاقة، مع زيادة معدلات الفقر التي تخطت نسبة 70 في المئة في عدة قرى صغيرة لا تتوفر فيها مقومات الحياة الطبيعية، ما دفع الحكومة إلى تكثيف المبادرات الاجتماعية.

## هل تعيد إدارة بايدن النظر في الانسحاب من الصومال؟

نشاط داعش في جميع أنحاء الصومال، فالحكومة الاتحادية تمتلك قدرات عسكرية محدودة لاستعادة السيطرة على الأراضي من جماعة الشباب، وهي أيضا على علاقة متوترة مع الحكومة الإقليمية في جوبالاند.



سيكون من غير المناسب التكنهن أو الانخراط في افتراضات كريس كاريز

وبينما تدعم إثيوبيا، التي تشارك في حرب أهلية في منطقة تكينيا الشمالية، الحكومة الفيدرالية الصومالية، فإن كينيا تدعم الحكومة الإقليمية في جوبالاند، مما يثير المزيد من المخاوف من وقوع صراعات مماثلة تتواجه فيها الحكومات الإقليمية مع الحكومة الاتحادية. ومع وضع مثل هذه التحديات في الحسبان، سيشكل الحضور الأمريكي في الصومال تموضعاً هاماً لإبراز القوة ومكافحة الإرهاب، في حال قررت الولايات المتحدة الآن العودة إلى البلاد من أجل المساعدة على بسط الاستقرار، في بلد لا يزال يعاني من الفوضى الأمنية منذ ثلاثة عقود من الزمن.

بالنسبة لنا التكنهن أو الانخراط في افتراضات، لكنه أشار إلى أن العملية تدخل مرحلتها التالية من الاشتباك الدوري مع قوات الأمن الصومالية. وتم الإعلان عن الانسحاب في أواخر العام الماضي مع موعد نهائي في منتصف يناير، ويقول الجيش الأمريكي، الذي نفذ عدداً متزايداً من الضربات الجوية ضد حركة الشباب ومجموعة صغيرة من المقاتلين المرتبطين بتنظيم داعش خلال إدارة ترامب، إنه سيواصل الضغط على حركة الشباب، التي لديها ما يقدر بنحو 5 إلى 10 آلاف مقاتل.

وتعد حركة الشباب واحدة من الحركات المتطرفة المتنامية، رغم الصعود القوي لتنظيم داعش خلال السنوات الأخيرة، ومبايعته من طرف تنظيمات جهادية كثيرة في أفريقيا، على غرار جماعة بوكو حرام النيجيرية، إلا أنها ظلت متمسكة بولايتها لتنظيم القاعدة، رغم ما أصاب الأخير من وهن وضعف.

وتشير الكثير من التقييمات إلى أن القوات الصومالية ليست مستعدة لتولي المسؤولية عن أمن البلاد، خاصة وأن قوة الاتحاد الأفريقي متعددة الجنسيات والتي قوامها 19 ألف جندي ستسحب بنهاية هذا العام. وبرزت مخاوف أخرى بين الأوساط السياسية الصومالية بشأن زيادة

حركة الشباب المتشددة، خاصة وأن خطوة أخرى ستقوم بها قوة حفظ السلام التابعة للاتحاد الأفريقي (أميصوم) في وقت لاحق هذا العام.

وقام الأفراد الأمريكيون بتدريب ودعم القوات الصومالية، بما في ذلك قوات النخبة الخاصة، في عمليات مكافحة الإرهاب. ويتم نقلهم إلى دول أفريقية أخرى مثل كينيا وجيبوتي المجاورتين، موطن القاعدة العسكرية الأمريكية الدائمة الوحيدة في أفريقيا.

ولم يحدد المتحدث باسم القيادة الأمريكية في أفريقيا العقيد كريس كارتز عددهم، وإلى أين يذهبون أو ما إذا كانت الإدارة الجديدة ستلغي الانسحاب، وقال قبل ثلاثة أيام من تولي بايدن منصبه، "سيكون من غير المناسب

وقد يغذي حركة الشباب المسلحة، حيث يامل الشارع في إعادة الإدارة الحالية القوات الأمريكية مجدداً.

وقد حذر الخبراء من أن انسحاب ما يقدر بنحو 700 جندي أمريكي يأتي في أسوأ وقت ممكن بالنسبة للصومال، حيث تعمل جماعة الشباب المتطرفة المرتبطة بالقاعدة على تحسين مهاراتها في صنع القنابل، وتواصل مهاجمة الأهداف العسكرية والمدنية حتى في مقديشو، ويأتي الانسحاب قبل أقل من شهر من موعد الانتخابات الرئاسية بالبلد الأفريقي.

وعبر مراقبون منذ أن أعلنت إدارة ترامب خطط الانسحاب من الصومال عن مخاوفهم بشأن قدرة الجيش الصومالي المتعثر على الصمود في وجه

مقديشو - تبنت حركة الشباب الصومالية المتطرفة هجوماً استهدف الأحد فندقاً في العاصمة مقديشو، وهو هجوم له دلالات كثيرة بحسب المحللين، كونه أول عمل إرهابي يحصل في عهد الرئيس الأمريكي جو بايدن، وبعد أيام من إعلان البنتاغون أن انسحاب قواته من الصومال قد اكتمل، في واحدة من الإجراءات الأخيرة لرئاسة الرئيس السابق دونالد ترامب.

وقالت إدارة الدبلوماسية التابعة لحركة الشباب في بيان إن "مقاتلي الجماعة اقتحموا الفندق بعد تفجير سيارة ملغومة، ونفذوا عملية استهدافية في فندق أفريك الذي يتخذ مسؤولو الحكومة الكافرة غطاء لهم". وبعد هذه العملية الجديدة، قفزت التساؤلات أمام المحللين حول ما إذا كان بايدن سيعيد النظر في خطط إدارة ترامب بشأن إمكانية إعادة القوات الأمريكية إلى الصومال، كما فعلت مع أفغانستان، خاصة وأن أمل الكثير من الصومالين معقود الآن على الإدارة الأمريكية الجديدة لتفادي كارثة أمنية محتملة في بلدهم.